تعويذة النجاة

عبد الجبّار الشريف



المقامَات



3

الشركة التونسية للتوزيع

المقامات
3

تعويذة النجاة

عبد الجبّار الشريف

رسم: أحمد الصوابني

1983

مَا كَانَ يَسْتَقِرُّ لِلْحَارِثِ قَرَارٌ فَمَا يَكَادُ يَحُلُّ بِبَلَدٍ حَتَّى يُغَادِرَهُ بَحْثًا عَنْ طِيبِ ٱلْعَيْشِ، لِذَلِكَ كَانَ يَجُوبُ ٱلْقِفَارَ وَالصَّحَارِي تَارَةً عَلَى ٱلْخَيْلِ وَتَارَةً عَلَى ٱلْإِبِلِ، وَتَاقَتْ نَفْسُهُ ذَاتَ مَرَّةٍ إِلَى رُكُوبِ ٱلْبَحْرِ فَأَخَذَ مَعَهُ أَمْتِعَتَهُ وَزَادَهُ وَٱسْتَقَلَّ أَحَدَ ٱلْمَرَاكِبِ يُسَاوِرُهُ ٱلْخَوْفُ مُتَمَنِّيًا سَلَامَةَ ٱلْعَاقِبَةِ.
كَانَ ٱللَّيْلُ قَدْ جَلَّلَ ٱلْأُفُقَ بِالسَّوَادِ حِينَ أَخَذَ ٱلْمَرْكَبُ يَبْتَعِدُ عَنِ ٱلشَّاطِئِ شَيْئًا فَشَيْئًا. وَتَنَاهَى إِلَى ٱلرُّكَّابِ صَوْتٌ يَهْتِفُ قَائِلًا:
- يَا أَهْلَ هَذَا ٱلْمَرْكَبِ ٱلْعَائِمِ فِي هَذَا ٱلْبَحْرِ

ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِي تَسُوقُهُ ٱلْقُدْرَةُ ٱلْإِلَهِيَّةُ، هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يُنَجِّيكُمْ مِنَ ٱلْعَذَابِ؟

فَنَظَرَ الرُّكَّابُ إِلَى بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَهَمْهَمُوا وَغَمْغَمُوا وَتَمْتَمُوا. ثُمَّ صَاحَ أَحَدُهُمْ يَرُدُّ عَلَى صَاحِبِ ٱلصَّوْتِ:

- هَاتِ مَا عِنْدَكَ وَأَرْشِدْنَا بِنُصْحِكَ...

فَقَالَ:

- هَلْ تَأْخُذُونَ مَعَكُمُ ٱبْنَ سَبِيلٍ، قَلِيلٌ زَادُهُ، خَفِيفٌ ظِلُّهُ، لَا يَبْحَثُ إِلَّا عَنْ مَكَانٍ يَسْتَرِيحُ فِيهِ؟

فَأَجْمَعَ ٱلرُّكَّابُ عَلَى ٱلرُّجُوعِ إِلَى ٱلشَّاطِئِ وَإِعَانَتِهِ. فَلَمَّا

بَلَغُوا ٱلشَّاطِئَ أَخَذُوهُ مَعَهُمْ وَأَبْحَرُوا مِنْ جَدِيدٍ فَقَالَ لَهُمْ:

- إِنَّ لَكُمْ مَعِي تَعْوِيذَةً مَأْخُوذَةً عَنِ ٱلْأَنْبِيَاءِ لَا يَسَعُنِي إِلَّا أَنْ أُطْلِعَكُمْ عَلَيْهَا.

ثُمَّ صَاحَ صَيْحَةَ ٱلْمُفْتَخِرِ قَائِلًا:

- أَتَدْرُونَ مَا هِيَ...؟ هِيَ حِرْزُ ٱلْمُسَافِرِينَ عِنْدَ رُكُوبِهِمِ ٱلْبَحْرَ يَقِيهِمْ مِنَ ٱلْهَمِّ وَيَسْتُرُهُمْ إِذَا ثَارَ ٱلْمَوْجُ وَبِهَا نَجَا مِنَ ٱلطُّوفَانِ نُوحٌ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ...

ثُمَّ تَمْتَمَ بِتَعَاوِيذَ مُبْهَمَةٍ وَقَالَ:

- ٱرْكَبُوا فِيهَا بِٱسْمِ ٱللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا.

فَأَعْجَبَ ٱلْحَارِثُ وَصَحْبُهُ بِبَيَانِهِ وَفَصَاحَةِ لِسَانِهِ، وَٱرْتَفَعَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالثَّنَاءِ وَٱلشُّكْرِ.

وَأَحَسَّ ٱلْحَارِثُ بِشُعُورٍ غَرِيبٍ يَشُدُّهُ إِلَى هَذَا ٱلرَّجُلِ فَٱسْتَفْسَرَهُ قَائِلًا: - بِٱللَّهِ أَلَسْتَ ٱلسَّرُوجِيَّ؟

فَأَجَابَهُ:

- بَلَى.

فَشَعَرَ ٱلْحَارِثُ بِٱلطُّمَأْنِينَةِ وَطَابَتْ نَفْسُهُ لِرُكُوبِ ٱلْبَحْرِ وَغَابَتْ عَنْهُ وَسَاوِسُ ٱلسَّفَرِ.

وَلَمْ يَزَلِ ٱلرُّكَّابُ فِي فَرَحٍ وَمَرَحٍ. يَنْعَمُونَ بِبَرِيءِ ٱللَّهْوِ وَصَفَاءِ ٱلْعَيْشِ فِي جَوٍّ صَحْوٍ حَتَّى عَصَفَتْ



رِيحُ ٱلْجَنُوبِ،
وَنَسِيَ ٱلرُّكَّابُ مَا كَانُوا فِيهِ
مِنَ ٱلسَّعَادَةِ وَأَحَاطَ
بِهِمُ ٱلْمَوْجُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ،

فَٱضْطُرَّ ٱلْمَرْكَبُ لِذَلِكَ أَنْ يَمِيلَ إِلَى إِحْدَى ٱلْجُزُرِ هُرُوبًا مِنَ ٱلْعَاصِفَةِ رَيْثَمَا تَهْدَأُ.

فَلَمَّا وَصَلُوا ٱلْجَزِيرَةَ تَوَقَّفُوا لِينَالُوا قَلِيلًا مِنَ ٱلرَّاحَةِ.

لَكِنَّ ٱلْعَاصِفَةَ تَمَادَتْ وَصَعُبَ عَلَى ٱلْمُسَافِرِينَ ٱلْإِقْلَاعُ حَتَى نَفِدَ زَادُهُمْ. فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ ٱلسَّرُوجِيُّ لِلْحَارِثِ.

- لَنْ يُفِيدَنَا ٱلْبَقَاءُ هُنَا شَيْئًا فَهَلْ لَكَ فِي مُغَادَرَةِ ٱلسَّفِينَةِ؟

فَقَالَ لَهُ:

- أَنَا رَهْنُ إِشَارَتِكَ أَتَّبِعُكَ حَيْثُمَا ذَهَبْتَ.

فَتَوَغَّلَا فِي ٱلْجَزِيرَةِ وَهُمَا عَلَى ضُعْفٍ كَبِيرٍ جَادَّيْنِ

فِي طَلَبِ ٱلْعَطَاءِ لَا يَمْلِكَانِ شَيْئًا يُطْرِدَانِ بِهِ شَبَحَ ٱلْجُوعِ... فَجَعَلَا يَطُوفَانِ فِي نَوَاحِي ٱلْجَزِيرَةِ يَتَفَيَّآنِ ظِلَالَهَا حَتَّى بَلَغَا قَصْرًا شَامِخًا قَدْ وَقَفَ أَمَامَهُ جَمْعٌ مِنَ ٱلْعَبِيدِ فَكَلَّمَاهُمْ مُحَاوِلِينَ جَرَّهُمْ إِلَى ٱلْحَدِيثِ عَسَى أَنْ يَنَالَا مِنْهُمْ بُغْيَتَهُمَا فَوَجَدَاهُمْ وَعَلَى كُلٍّ مِنْهُمْ مَسْحَةٌ مِنَ ٱلْكَآبَةِ وَٱلْحَسْرَةِ.

فَقَالَ ٱلسَّرُوجِيُّ:

- أَيُّهَا ٱلْغِلْمَانُ مَا هَذِهِ ٱلْكَآبَةُ وَهَذَا ٱلْحُزْنُ؟

فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَيَا مِنْ أَمْرِهِمْ مَا يَبْعَثُ عَلَى ٱلْحَيْرَةِ وَيُثِيرُ ٱلْقَلَقَ وَٱلْكَآبَةَ غَضِبَا وَأَخَذَا



يَسُبَّانِ وَيَشْتُمَانِ ، فَٱبْتَدَرَهُمَا خَادِمٌ تَبْدُو عَلَيْهِ
عَلَامَاتُ ٱلْكِبَرِ قَدْ تَحَدَّرَتْ مِنْ عَيْنَيْهِ ٱلدُّمُوعُ

قَائِلًا:

- لِمَاذَا هَذَا ٱلشَّتْمُ؟ فَنَحْنُ فِي حُزْنٍ كَبِيرٍ يَشْغَلُنَا عَنِ ٱلْحَدِيثِ، فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ:

- هَوِّنْ عَلَيْكَ وَأَخْبِرْنَا بِمَا يُحْزِنُكَ إِنْ أَمْكَنَكَ ٱلْكَلَامُ، فَإِنَّكَ سَتَجِدُ فِيَّ عَرَّافًا مَاهِرًا.

فَقَالَ ٱلرَّجُلُ:

- إِنَّ صَاحِبَ هَذَا ٱلْقَصْرِ هُوَ سَيِّدُ هَذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ لَكِنَّهُ مَهْمُومٌ لِأَنَّهُ لَمْ يُنْجِبْ أَطْفَالًا، وَمَا زَالَ يَتَخَيَّرُ مِنَ ٱلنِّسَاءِ أَكْرَمَهُنَّ حَتَّى حَمَلَتْ زَوْجَتُهُ وَمَا كَادَ يَتَحَقَّقُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَذَرَ ٱلنُّذُورَ وَظَلَّ يَعُدُّ

ٱلْأَيَّامَ وَٱلشُّهُورَ. وَلَمَّا حَانَ وَقْتُ ٱلْوَضْعِ عَسُرَ ٱلْمَخَاضُ. فَخَافَ ٱلْأَبُ عَنِ ٱلْجَنِينِ وَأُمِّهِ وَلَمْ نَعْرِفْ مُنْذُ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ هَنَاءً وَلَا ذُقْنَا نَوْمًا وَلَا صَفَاءً، ثُمَّ أَجْهَشَ ٱلرَّجُلُ بِٱلْبُكَاءِ وَهُوَ يُرَدِّدُ قَوْلَهُ:

- إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ:

- لَا تَحْمِلْ هَمًّا وَٱهْدَأْ فَلَكَ عِنْدِي بُشْرَى، عِنْدِي عَزِيمَةٌ تُسَهِّلُ ٱلْوِلَادَةَ يَعْرِفُهَا كُلُّ ٱلنَّاسِ.

فَتَسَارَعَ ٱلْغِلْمَانُ إِلَى مَوْلَاهُمْ يُبَشِّرُونَهُ بِحُلُولِ

ٱلْفَرَجِ. فَمَا أَسْرَعَ مَا دَعَاهُمَا إِلَيْهِ. فَلَمَّا دَخَلَا
عَلَيْهِ قَالَ لِأَبِي زَيْدٍ:
- لَأُكْثِرَنَّ لَكَ ٱلْعَطَاءَ لَوْ صَدَقَ زَعْمُكَ.

فَطَلَبَ أَبُو زَيْدٍ أَنْ يُحْضَرَ
لَهُ قَلَمٌ مَبْرِيٌّ وَحَجَرٌ بَحْرِيٌّ
وَزَعْفَرَانٌ قَدْ سُحِقَ فِي مَاءِ
وَرْدٍ نَظِيفٍ. فَلَمْ يَكَدْ يَنْتَهِي
مِنْ تَقْدِيمِ مَطَالِبِهِ حَتَّى
أُحْضِرَتْ فِي ٱلْحَالِ. فَسَجَدَ
أَبُو زَيْدٍ وَعَفَّرَ وَجْهَهُ بِالتُّرَابِ



ثُمَّ سَبَّحَ وَاسْتَغْفَرَ وَأَبْعَدَ الْحَاضِرِينَ.
ثُمَّ أَخَذَ ٱلْقَلَمَ وَكَتَبَ عَلَى ٱلْحَجَرِ ٱلْبَحْرِيِّ
بِالْمُزَعْفَرِ كِتَابَةً مُبْهَمَةً.
ثُمَّ مَحَا ٱلْمَكْتُوبَ عَلَى غَفْلَةٍ وَتَفَلَ عَلَيْهِ مِائَةَ تَفْلَةٍ،
وَشَدَّ ٱلْحَجَرَ ٱلْبَحْرِيَّ فِي خِرْقَةٍ مِنَ ٱلْحَرِيرِ بَعْدَ مَا
ضَمَّخَهَا بِأَخْلَاطٍ مِنَ الطِّيبِ وَأَمَرَ بِتَعْلِيقِهَا عَلَى
فَخِذِ ٱلْمَرْأَةِ، فَمَا هِيَ إِلَّا أَنْ وَلَدَتْ بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَامْتَلَأَ
ٱلْقَصْرُ حُبُورًا وَٱسْتَطَارَ صَاحِبُهُ وَعَبِيدُهُ سُرُورًا،
وَأَحَاطَتِ ٱلْجَمَاعَةُ بِأَبِي زَيْدٍ تَشْكُرُهُ وَتُقَبِّلُ يَدَيْهِ
وَتَتَبَرَّكُ بِلَمْسِ رِدَائِهِ ٱلْبَالِي. ثُمَّ أَمْطَرُوهُ بِالْجَوَائِزِ

وَٱلْعَطَايَا. حَتَّى إِذَا هَدَأَتِ ٱلْعَاصِفَةُ وَأَمْكَنَ ٱلْإِبْحَارُ
إِلَى عُمَانَ أَخَذَ أَبُو زَيْدٍ عَطَايَاهُ وَتَأَهَّبَ إِلَى ٱلرَّحِيلِ
فَلَمْ يَسْمَحْ لَهُ وَالِي ٱلْجَزِيرَةِ بِمُغَادَرَتِهَا بَعْدَ مَا سَمِعَهُ
عَنْ بَرَكَتِهِ وَطَلَبَ مِنْ رِجَالِهِ أَنْ يَأْخُذُوهُ إِلَى ٱلْخِزَانَةِ
فَيَنْتَقِيَ مِنْهَا مَا يَشَاءُ.

فَلَمَّا رَأَى ٱلْحَارِثُ أَنَّ أَبَا زَيْدٍ قَدْ هَشَّتْ نَفْسُهُ إِلَى
ٱلْمَالِ وَأَصْبَحَ يُفَضِّلُ ٱلْبَقَاءَ عَلَى الرَّحِيلِ. انْحَنَى
عَلَيْهِ يُعَنِّفُهُ وَيَلُومُهُ عَلَى مُفَارَقَتِهِ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو زَيْدٍ:

- يَا غَبِيُّ إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ٱلْيَوْمَ أَنْ تَعِيشَ فِي

أَرْضِكَ قَرِيرَ ٱلْعَيْنِ فَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نَنْتَقِلَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ. فَإِنْ طَابَ لَنَا ٱلْمُقَامُ فِي أَرْضٍ مَكَثْنَا فِيهَا نَنْعَمُ بِخَيْرَاتِهَا وَنَأْنَسُ بِأَهَالِيهَا. ثُمَّ أَضَافَ قَائِلًا:

- حَبَّذَا لَوْ بَقِيتَ مِثْلِي.

فَقَالَ ٱلْحَارِثُ:

- أَرْجُو ٱلْمَعْذِرَةَ، لَا يَسَعُنِي ٱلْآنَ إِلَّا أَنْ أَرْحَلَ.

فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ:

- لَكَ مَا أَرَدْتَ.

ثُمَّ شَيَّعَهُ إِلَى أَنِ ٱسْتَقَلَّ ٱلْمَرْكَبَ.

مَازَالَ ٱلْحَارِثُ مُنْذُ تَرَكَ السَّرُوجِيَّ فِي ٱلْجَزِيرَةِ يَتَجَوَّلُ فِي ٱلْبُلْدَانِ، وَيَتَمَتَّعُ بِطِيبِ ٱلْعَيْشِ. إِلَى أَنْ ٱشْتَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَى مِصْرَ، فَبَاعَ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ وَٱرْتَحَلَ إِلَيْهَا. وَبَعْدَ عَنَاءٍ طَوِيلٍ وَسَفَرٍ شَاقٍّ وَصَلَ صَبَاحًا فَرَأَى وَهُوَ يَطُوفُ بِهَا جَمَاعَةً يَرْكَبُونَ جِيَادًا فَسَأَلَ أَحَدَهُمْ:

- إِلَى أَيْنَ تَسِيرُونَ؟

فَأَجَابَهُ:

- نَحْنُ نَقْصِدُ حَفْلَ زَوَاجٍ، وَهَؤُلَاءِ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ تَرَاهُمْ هُمْ شُهُودُ هَذَا ٱلْحَفْلِ. فَسَاقَهُ ٱنْدِفَاعُ الشَّبَابِ

إِلَى مُصَاحَبَةِ هَؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ لَعَلَّهُ يَنَالُ طَعَامًا شَهِيًّا، وَحَلْوَاءَ لَذِيذَةً. فَأَفْضَى بِهِمُ ٱلْمَسِيرُ بَعْدَ عَنَاءٍ إِلَى بِنَايَةٍ رَفِيعَةٍ تُوحِي بِأَنَّ صَاحِبَهَا مِنْ أَثْرِيَاءِ ٱلْقَوْمِ. فَلَمَّا نَزَلَ ٱلْجَمِيعُ عَنْ صَهَوَاتِ ٱلْخُيُولِ وَهَمُّوا بِالدُّخُولِ رَأَى ٱلْحَارِثُ بِدِهْلِيزِهَا ثِيَابًا بَالِيَةً تُغَطِّي ٱلْأَرْضَ وَزَنَابِيلَ مُعَلَّقَةً. ثُمَّ تَحَوَّلَ بِنَظَرِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنَ ٱلدِّهْلِيزِ فَرَأَى شَخْصًا جَالِسًا عَلَى دَكَّةٍ مُفْتَرِشًا فِرَاشًا مِنَ ٱلْقَطِيفَةِ، فَرَاوَدَتْهُ الرِّيبَةُ وَالشُّكُوكُ فِي حَقِيقَةِ هَؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ وَدَفَعَهُ ٱلتَّطَيُّرُ مِنْ تِلْكَ الثِّيَابِ وَتِلْكَ ٱلزَّنَابِيلِ فَعَمَدَ إِلَى ذَلِكَ

اَلْجَالِسِ يَسْأَلُهُ:

- بِاللَّهِ عَلَيْكَ يَاصَاحِبِي مَنْ رَبُّ هَذِهِ الدَّارِ؟

فَأَجَابَهُ:

- لَيْسَ لَهَا مَالِكٌ مُعَيَّنٌ وَإِنَّمَا هِيَ مَكَانُ اجْتِمَاعِ الْمُتَسَوِّلِينَ.

فَثَبَتَ الْحَارِثُ فِي مَكَانِهِ تَبْدُو عَلَيْهِ عَلَامَاتُ الضِّيقِ وَجَعَلَ يُخَاطِبُ نَفْسَهُ قَائِلًا:

- "يَاخَيْبَةَ الْمَسْعَى.. مَاذَا فَعَلْتُ..؟ أَتَرَكْتُ بَغْدَادَ وَسِرْتُ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ لِأَصْحَبَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْعِبَادِ..؟ تَبِعْتُهُمْ عَلَّنِي أَفُوزُ بِمَآكِلَ

شَهِيَّةٍ فَإِذَا بِالْقَوْمِ فُقَرَاءُ مُتَسَوِّلُونَ... كَمْ أَنَا غَبِيٌّ..."

ثُمَّ هَمَّ ٱلْحَارِثُ بِالرُّجُوعِ لَكِنَّهُ ٱسْتَثْقَلَ ذَلِكَ خَوْفَ أَنْ يَلْفِتَ بِتَرَاجُعِهِ ٱلْأَنْظَارَ. فَدَخَلَ الدَّارَ مَعَ ٱلْقَوْمِ عَلَى كُرْهٍ فَإِذَا فِيهَا أَرَائِكُ وَطَنَافِسُ وَفُرُشٌ وَأَسْتَارٌ، وَقَدْ أَقْبَلَ ٱلْعَرِيسُ يَتَبَخْتَرُ فِي بُرْدَتِهِ بَيْنَ ٱلْجَمْعِ، ثُمَّ تَصَدَّرَ مَكَانَهُ فِي هَيْبَةِ ٱلْمُلُوكِ وَعِنْدَهَا نَادَى أَحَدَ أَقَارِبِهِ قَائِلًا:

- وَحُرْمَةِ سَيِّدِ ٱلْمُتَسَوِّلِينَ وَأُسْتَاذِ ٱلشَّحَّاذِينَ لَا يَعْقِدُ هَذَا ٱلْعِقْدَ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي التَّسَوُّلِ صَاحِبَ أَقْدَمِيَّةٍ.

فَأَعْجَبَ أَهْلَ ٱلْعَرُوسِ مَا ٱقْتَرَحَهُ وَطَلَبُوا أَنْ يَحْضُرَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَتَوَفَّرُ فِيهِ هَذَا الشَّرْطُ، عِنْدَئِذٍ بَرَزَ وَسَطَ ٱلْجَمْعِ شَيْخٌ قَدِ ٱنْحَنَتْ قَامَتُهُ وَبَيَّضَ الشَّيْبُ شَعَرَهُ فَفَرِحَ ٱلْجَمَاعَةُ بِإِقْبَالِهِ وَهَبُّوا لِاسْتِقْبَالِهِ.

فَلَمَّا جَلَسَ وَسَكَنَتِ ٱلضَّوْضَاءُ مَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ ثُمَّ قَالَ:

- بِسْمِ ٱللَّهِ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى شَرَّعَ الزَّوَاجَ لِكَيْ تَتَعَفَّفُوا وَسَنَّ التَّنَاسُلَ لِكَيْ تَتَضَاعَفُوا، وَقَدْ أَوْرَدَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ ٱلْعَزِيزِ... فَبِٱسْمِهِ نَعْقِدُ لِأَبِي الدَّرَّاجِ وَلَّاجِ بْنِ خَرَّاجٍ، صَاحِبِ ٱلْوَجْهِ



اُلْقَبِيحِ وَالْإِثْمِ الصَّرِيحِ ، كَثِيرِ الصِّيَاحِ ، شَدِيدِ
اُلْإِلْحَاحِ ، عَلَى سَلِيطَةِ اَللِّسَانِ ، اُلْمُوَافِقَةِ لِبَعْلِهَا
فِي كُلِّ مَا اُتَّصَفَ ، قَنْبَسَ بِنْتِ أَبِي اُلْعَنْبَسِ وَقَدْ

بَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ مِخْلَاةً وَعُكَّازًا وَأَسْمَالًا وَكُوزًا. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُكْثِرَ بَيْنَ الْمُتَسَوِّلِينَ نَسْلَكُمْ وَيَحْرُسَ مِنَ الْمَكَارِهِ شَمْلَكُمْ".

فَلَمَّا فَرَغَ الشَّيْخُ مِنْ خُطْبَتِهِ وَانْتَهَى مِنْ عَقْدِ الْقِرَانِ تَنَاثَرَتِ الْفَوَاكِهُ وَالدَّرَاهِمُ مِمَّا أَغْرَى الشَّيْخَ فَأَقْبَلَ بِدَوْرِهِ يَنْثُرُ الدَّرَاهِمَ ثُمَّ نَهَضَ يَسْحَبُ ثِيَابَهُ مُتَقَدِّمًا الْجَمْعَ فَتَبِعَهُمُ الْحَارِثُ فَإِذَا بِالشَّيْخِ يَأْخُذُهُمْ إِلَى مَكَانٍ وُضِعَ فِيهِ سِمَاطٌ قَدْ زُيِّنَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ. فَلَمَّا رَأَى الْحَارِثُ انْشِغَالَ الْقَوْمِ فِي الطَّعَامِ

انْسَلَّ وَسَطَ الْجَمْعِ يَنْوِي الانْصِرَافَ فَلَمحَهُ الشَّيْخُ فَصَاحَ فِيهِ قَائِلاً :

- إلى أَيْنَ يالَئِيمُ .. اِبْقَ مَعَنا تَجِدُ فِينا أَهْلَ كَرَمٍ.

فَقَالَ الْحَارِثُ وَقَدْ ضَاقَ صَدْرُهُ :

- وَاللهِ لَنْ أذُوقَ شَيْئاً مِنْ طَعَامِكُمْ حَتَّى تُخْبِرَنِي مَنْ أَنْتَ وَإلَى أَيِّ بَلَدٍ تَنْتَسِبُ؟

فَتَنَفَّسَ الشَّيْخُ طَوِيلاً ثُمَّ أَغْرَقَ فِي الْبُكَاءِ وَطَلَبَ مِنَ الْجَمِيعِ أَنْ يُنْصِتُوا لِقَوْلِهِ :

مَسْقَطُ الرَّأْسِ سَرُوجُ   وَبِهَا كُنْتُ أَمُوجُ
بَلْدَةٌ يُوجَدُ فِيهَا   كُلُّ شَيْءٍ وَيَرُوجُ



لَيْتَ يَوْمِي حُمَّ لَمَّا   حُمَّ لِي مِنْهَا الْخُرُوجُ

فَلَمَّا سَمِعَ إِنْشَادَهُ وَعَرَفَ بِلادَهُ أَيْقَنَ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ السَّرُوجِيُّ وَتَأَسَّفَ لِمَا أَصَابَهُ مِنَ الْهَرَمِ فَبَادَرَ إِلَى مُصَافَحَتِهِ وَجَلَسَ يُشَارِكُهُ الطَّعَامَ مِنْ صَحْفَتِهِ.

صدر في هذه السلسلة

1 دهاء السروجي
2 حيلة شيطانية
3 تعويذة النجار
4 اللص الظريف

الطبعة الأولى ـ جانفي 1983 ـ سحب من هذا الكتاب 15.000 نسخة

الشركة التونسية للتوزيع
5 شارع قرطاج – تونس

السعر : 0،600 د.ت
أو ما يعادله